

## المساواة والاخوة فى الاسلام

للشيخ منصور المحجوب

بسم الله الرحمن الرحيم - والصلاة والسلام على النبي الكريم  
سيدنا رسولنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أيها الاخوة الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . و بعد

انه لشرف كبير لى ان اشارك فى اجتماعات هذا المؤتمر الاسلامى  
العظيم وان أتشرف بان ارفع اليكم تحية حضرة مولانا ملك المملكة  
الليبية ادريس الاول المعظم مع تمنياته الطيبة بالتوفيق والنجاح .

إن هذا المؤتمر التاريخى الموقر له الشرف لانعقاده لاهياء و تكريم  
ذكرى مرور اربعة عشر قرنا على ابتداء نزول القران الكريم ، وهو  
كذلك مؤتمر جدير بالثناء المستطاب لانه اجتمع لاشرف غاية وأرفع  
قصد و ذلك لان القرآن كما وصفه سيدنا على رضى الله عنه بقوله :

”كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم،  
هو الفصل ليس بالهزل من تركه فسمه ومن ابتغى الهدى فى غيره  
أضله الله وهو جبل الله المتين وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لا تزيغ  
به الالهواء ولا تلتبس به الالسنه ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على  
كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه ، هو الذى لم تنته الجن اذا سمعته  
حتى قالوا ”انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشده فآمننا به“ ، و يكفى فى  
تصديق هذا الوصف للقرآن الكريم قوله تعالى ”قد جاءكم من الله  
نور و كتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام و يخرجهم  
من الظلمات الى النور باذنه و يهديهم الى صراط مستقيم“ .

ولان القرآن الكريم قد اشتمل على الاحكام و التواريخ الصادقة عن الايام الماضية و على قصص الانبياء الصادقين و أهمهم بما فيه من عظات بالغة و توجيه حكيم لمن كان له قلب او ألقى السمع و هو شهيد .

اجل لان القرآن الكريم قد اشتمل على تلك الفضائل ، لو عمل الناس بها و انتفعوا بما توحى اليه لكانوا أعلى الامم قدرا و ارفعها مكانة و أفضلها أخلاقا و أقواها رهبة في صدور اعدائها ، لذلك فقد وردت احاديث نبوية كريمة تبين فضل القرآن ترغيبا في حفظه و النظر فيه فمن ذلك ما روى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه ”خيركم من تعلم القرآن و علمه“ ، رواه البخارى و مسلم و ابوداود و الترمذى و النسائى و من ذلك ما رواه الترمذى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال . قال رسول صلى الله عليه وسلم ”من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة و الحسنة بعشرة أمثالها لا اقول الم حرف و لكن الف حرف و لام حرف و ميم حرف . ” و عن ابى امامة الباهلى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ”اقرأ القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعا لاصحابه“ ، رواه مسلم ، و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان القرآن نور يهتدى به فيها يعود على الامم المسلمة المؤمنة به بالسعادة و الهداية الى الصراط المستقيم ، روى عن ابى ذر رضى الله عنه قال ، قلت يا رسول الله اوصنى قال ”عليك بتقوى الله فانه رأس الامر كله ، قلت يا رسول الله زدنى قال عليك بتلاوة القرآن فانه نور لك فى الارض و ذخر لك فى السماء ، رواه ابن حبان فى صحيحه و قد بين رسول الله صلى الله عليه و سلم ان القرآن مأدبة الله التى تغذى القلوب و تحي الارواح ، فعن ابن مسعود رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ”ان هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا مأدبة ما استطعتم“ ، من حديث طويل رواه الحاكم و هو حديث صحيح ، و يكفى حفاظ القرآن و قراءه و الناظرين فى معانيه شرفا ان ذلك من الاسور التى حفز الشرع

اليهم على التنافس فيها في قوله صلى الله عليه وسلم "لا حسد الا في اثنتين رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل و آناء النهار"، رواه البخارى من حديث طويل ومن الترغيب في القرآن حفظا له و نظرا في معانيه تمهيدا للانتفاع به من تشريع و حكم و احكام ان جعل الله قارئ القرآن في كنفه و آمنه يوم الفزع الاكبر، و في ذلك ما رواه الطبراني في الاوسط و الصغير عن ابن عمر رضى الله عنهما قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ثلاثة لا يهولهم الفزع الاكبر و لا ينالهم الحساب هم على كتيب من مسك حتى يفرغ من حساب الخلائق ، رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله و أم به قوما و هم راضون و داع يدعوا الى الصلاة ابتغاء وجه الله ، و رجل أحسن فيما بينه و بين ربه و فيما بينه و بين مواليه".

### ايها الاخوة:

يجدر بنا الآن و قد أخذنا على عاتقنا الاضطلاع بهذا العبء و هو ازالة الغشاوة الكثيفة التي تراكمت على الفكرة الاسلامية و طريقتها و ذلك بسبب الانحطاط الفكرى الذى أصاب المسلمين نتيجة للغزو الثقافى و التبشيري الذى غير كثيرا من المفاهيم الاسلامية هكذا دون توان و ابطاء و الطريق الذى يجب ان يسلك فى سبيل ذلك هو اعطاء الصورة المشرقة عن الاسلام بشكل واضح و نقى فى نواحي الحياة المختلفة المتضمنة معالجة المشاكل المتعددة و المتجددة .

و ان اعطاء هذه الصورة الصافية لآبناء المسلمين كفيل بان يذيب ما لديهم من افكار دخيلة ليحل محلها فكر اسلامى متين و قدرة على كشف زيف كل ما يتعارض مع تعاليم الدين الحنيف او يتنافى مع فكرة الاسلام فيكون بحكمه قويا فى عقيدته سليما فى أنظمتة و أسلوب حياته ذلك ان التخبط الذى تعيش فيه الآن ناجم عن عدم وضوح الاسلام او بالاحرى عدم وجوده عمليا فى واقع حياتنا و تشريعاتنا حتى ينعكس

أثره على مجتمعاتنا ، و لا يخفى على المدرك الواعى ما عليه المسلمون الآن من واقع مريو و ثناقض واضح فهم يحاربون الاستعمار و يديرون له ظهرهم فى الوقت الذى يمدون له أيديهم من خلف ليتناولوا بها افكاره و ثقافته التى تبعدهم عن تقاليدهم و مقاييس مجتمعهم الاسلامى .

هذا و فى الوقت الذى أتحدث فيه عن فكرة المساواة و الاخوة فى الاسلام أمل ان يكون واضحا ان هذا البحث انما هو أحكام شرعية تضمنها الاسلام لتنظيم نواحي حياتنا و مجتمعاتنا و ان فكرة الاخوة و المساواة انما يمكن بروزها واضحة و مؤثرة اذا طبقت عمليا فى واقع الحياة و ذلك ان الاسلام قائم فى احكامه على فكرة الاخوة و المساواة و لا تمييز الا بالتقوى قال الله تعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر و انثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) و قال تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة و خلق منها زوجها و بث منهما رجالا كثيرا و نساء).

روى الامام مسلم و غيره بسنده عن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "المسلم اخو المسلم لا يظلمه و لا يخذله - و لا يحقره التقوى هاهنا - (قالها ثلاثا) و يشير الى صدره الشريف - تحسب امرىء من الشر أن يحقره اخاه، كل المسلم على المسلم حرام دمه و عرضه و ماله" رواه مسلم فليس فى الاسلام تفاضل بالانساب ما لم يدعمه بالتقوى و العمل اليه الخ، و قد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فى قوله "من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه" و عن عقبه بن عامر رضى الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال ان أنسابكم ليست بسباب على احد و انما انتم ولد آدم طف الصاع تملئوه - يعنى بعضكم قريب من بعض - ليس لاحد فضل على احد الا بالدين ، رواه الامام احمد و البيهقى و عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أوسط ايام

التشريق خطبة الوداع فقال "يا أيها الناس ان ربكم واحد وان اباكم واحد الا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لاحمر على اسود ولا لاسود على احمر الا بالتقوى (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) الاهل بلغت - قالوا بلى يا رسول الله قال فليبلغ الشاهد الغائب، كما ذكر الحديث في تحريم الدماء والاسوال والاعراض رواه البيهقي، وروى الامام احمد بسنده عن ابي ذر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له "انظر فانك لست بخير من احمر ولا اسود الا ان تفضله بتقوى"، وعلى هذا الاساس جمع مجلس النبي في حضور العلم و في الشورة ومهام امور الاسلام كتجهيز الجيوش ووضع الخطط للحرب والدفاع و جمع الزكا ونشرة العدالة بين الجميع، جمع مجلس النبي صلى الله عليه وسلم عمر العربي و بلال الحبشي وصهيب الرومي و سليمان الفارسي ولم يرى احد فضلا لنفسه على احد من هؤلاء الاصحاب على غيره بل الكل كان ينتسب الى الاسلام ويعتز به دون امر اخر من جنس او اقليم او حسب و يتضح من هنا ان جميع المسلمين متساوون في الحقوق والواجبات الشرعية. و من مبادئ الاسلام العظيمة ان غير المسلمين اصحاب الذمة المقيمين في البلاد الاسلامية يعاملون حسب احكام الاسلام وتعاليمه الخاصة بشانهم بالعدل و الانصاف وصيانة اموالهم و اعراضهم و دماءهم كالمسلمين سويا فلمهم ما لنا وعليهم ما علينا من تلك النواحي، وعلى هذا فقد جرت مسابقة في مصر عقب فتحها على يد عمرو بن العاص جرت بين ابن عمرو وبين شاب مسيحي مصري فسبقت فرس المسيحي فرس ابن عمرو بن العاص فاغتلط ابن عمرو وضرب القبطي المسيحي وقال له اتسبقتني وانا ابن الاكرمين، فتحين الشاب القبطي فرصة موسم الحج و هرب الى امير المؤمنين عمر رضى الله عنه فلم يكديسمع ابن الخطاب تلك المظلمة حتى بادر باحضار عمرو بن العاص اليه ومعه ولده وعلى ملاء من جمهرة المسلمين انصف المسيحي من

ابن عمرو حيث قال له اضرب ابن الاكرمين على وجهه ففعل ثم التفت الى عمرو بن العاص موجها امام جمهور المسلمين قائلا له "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا يا عمرو" و هكذا تكون العدالة الاسلامية ، وتحضرنى تلك القضية التي تدل على عدالة الاسلام ومساواته المطلقة بين الجميع تدل على نزاهة القضاة الاسلامي دون مبالاة بعظيم او جبار - ذلك ان امير المؤمنين عليا رضى الله عنه سقط درعه فالتقطه يهودى ثم رآه أتباع على رضى الله عنه مع اليهودى فطلب اليه امير المؤمنين رده اليه فابى وقال الدرع درعى يا امير المؤمنين وفي يدي ، ورفع الامر الى القاضى شريح وعندما حضر بين يديه سيدنا على و اليهودى لم يعرض شريح بكلام سيدنا على و طلب اليه البينة فا حضر شاهدين على صحة دعواه هما الحسن بن على وقنبر مولى سيدنا على فقبل القاضى شهادة قنبر و رد شهادة الحسن سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه ابن المدعى رضى الله عنهما و طلب الى سيدنا على شاهدا اخر فلم يوجد فحكم بالدرع لليهودى فلم يعارض سيدنا على فى هذا و رضخ للحكم ولكن اليهودى اعجب بعدالة الاسلام البالغة فلم يسعه عقب الحكم له الا ان اعترف بان الدرع لعلى و اعتنق الاسلام اعظاما لعدالته و مساواته بين الجميع و مثل هذا كثيرا مما ورد من الاحداث و الاحاديث التي تدل على مساواة الاسلام بين جميع بنى الانسان فى الحقوق و الواجبات من المسلمين و أهل الذمة و المعاهدين ، و اما الاخوة فى الاسلام فنتحدث عنها و لاجر فان الاسلام قد دعى لها بمختلف الطريق فى الآيات القرآنية و الاحاديث النبوية فمن ذلك قوله تعالى (انما المؤمنون اخوة) و قوله صلى الله عليه وسلم "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه ببعض) و قوله صلى الله عليه وسلم (ترى المؤمنين فى توادهم و تراحمهم و تعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد

بالحمى والسهر) ، وقد رغب الله المؤمنين في كل ما يربط بعضهم ببعض برباط من المحبة فجعل على زيارة المؤمن لآخيه المؤمن اجرا عظيما لحفز المسلمين على التزاور و التواد لتوثيق العلاقة بينهم وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم عدة احاديث منها عن ابي هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ”من عاد مريضا او زار اخاه في الله ناداه منادى طبت وطابت ممشاك وتبوات من الجنة منزلا“، رواه ابن ماجه والترمذى حسن صحيح ، و عن انس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ”من أتى اخاه يزوره في الله الا ناداه منادى من السماء ان طبت وطابت لك الجنة و الا قال الله في ملكوت عرشه عبدى زار فى وعلى قراه فلم يرضى له بثواب دون الجنة رواه البزازو ابو يعلى ، و عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول“، قال الله تبارك وتعالى ، وجبت محبتى للمتحابين فى و وجبت محبتى للمتجالسين فى و للمتزاورين فى و للمتبادلين فى ”رواه مالك باسناد صحيح ، و عن بريدة رضى الله عنه عن النبي قال ”ان فى الجنة غرفا ترى ظواهرها من بواطنها و بواطنها من ظواهرها ساعدها الله للمتحابين فيه و للمتبادلين فيه“، رواه الطبرانى فى الاوسط.

و مما يدل على ان الشرع يريد توثيق الاخوة و المحبة بين المسلمين ان النبي بين ما فى قضاء حاجات المسلم لآخيه المسلم من الثواب و الاجر العظيم و فى ذلك ما رواه ابو الشيخ بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان الله خلقا خلقهم لحوائج الناس ، يفزع الناس اليهم فى حوائجهم اولئك الآمنون من عذاب الله ” و روى مسلم و ابو داؤد و الترمذى باسنادهم عن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي قال ”من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة و من يسر على

معسر في الدنيا يسع الله عليه في الدنيا والاخرة و من ستر على مسلم في الدنيا ستر الله عليه في الدنيا والاخرة والله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه،، رواه مسلم .

وهكذا بالنظر فيما ورد عن الشرع في توثيق الاخوة و تقوية الروابط بين المسلمين على اختلاف اجناسهم و تباعد اقطارهم نجد الشيء الكثير من الترغيب كالحث على القيام بحقوق الجيران و صلة الارحام و التعاون بين كل مسلم و اخيه المسلم و ذلك حتى تتم وحدتهم على الهدف و حتى يتحقق قوله تعالى،، (و اعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) .

يتضح من هذا لكل ذي بصيرة ان الاسلام هو دين الله و شريعته للناس قاطبة و انه صالح لكل زمان و مكان متطور مع الاحداث و الازمان فيه السعادة في الدنيا و الاخرة لمن آمن و عمل به و الاطمئنان و الراحة و الامان لمن عاش في ظله و خضع لتعاليمه .

ان بروز المساواة و الاخوة في الاسلام بصورة واضحة جلية كذيل بان نحمل ابناء المسلمين ممن لم يكن لديهم واضحا ان يزدادوا ايمانا و اعتزازا بما حباهم الله اياه من نظام متميز و قدرة على زيف ما عداه من أنظمة تدعى المساواة و الاخوة دعوة لا وجود لها في واقع حياة الشعوب في مختلف المستويات .

نسأل الله سبحانه ان يعننا لاجراخ مفهوم المساواة و الاخوة الى حيز الوجود بالعمل التطبيقي حتى يدرك ابناء الاسلام المهمة الملقاة على عواتقهم و الواجبات التي تنظرهم بتكليف من الله لا بدافع حب السيطرة و الجاه قال تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) و اننا بهذا نتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم و ندرك ما علينا من واجبات و مالنا من حقوق فنعتصم بحبل الله المتين متساوين مستظلين بكلمة لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم في حب لله



وتعاون على البر والتقوى واثار على النفس وتراحم و اتحاد و ايمان  
بالقلب و عمل بالجوارح و بذلك تكون العزة لله و لرسوله و للمؤمنين  
فنكون ممن يصدق عليهم قوله تعالى (ان تنصروا الله ينصركم و  
يثبت اقدامكم).

أسئل الله الكريم رب العرش العظيم ان يجمعنا في ثالث  
الحرمين الشريفين المسجد الأقصى قبلة المسلمين الاولى و مسرى النبي  
الامين انه سميع مجيب .

و قل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله و المؤمنون ، صدق  
الله العظيم .

و السلام عليكم و رحمة الله و بركة .